أسماء الأضداد في الفصحى والعاميّة الليبيّة

د. عبدالسلام عمران القمودي
كلية الآداب والتربية / جامعة صبراتة

ملخّص البحث باللغة العربيّة

الأضداد إحدى الظواهر اللغوية التي تزيّنت بها لغة العرب ، لِذا رصد الباحثُ عنواناً لهذه الدراسة بعد الرّجوع لبعض المصادر التي تحدّثت حوله ودوّن بعضاً ممّا قيل بشأنه وقد وسّمه **بـ(أسماء الأضداد في الفصحى والعاميّة الليبيّة) .**

واعتمد الباحثُ في دراسته هذه على حصر مجموعة من أسماء الأضداد الموجودة في البيئة العاميّة الليبية ومقارنتها بما يوازيها من الفصحى .

وقد اقتضت طبيعة هذا الدراسة أن تُقسّم على مجموعةٍ من المباحث وهي :

1- المبحث الأوّل . دلالة الأضداد في اللغة . وفيه تمّ التعريف بما ذكرته المعاجم من معاني الأضداد وبيان أمثلة لها .

2-المبحث الثّاني . الأضداد في القرآن الكريم . وانفرد هذا المبحث بالاستشهاد ببعض ما ذكره القرآن الكريم من أسماء الأضداد ورأي المفسّرين في ذلك .

3-المبحث الثالث – مصطلح الأضداد عند العلماء الأوائل . وفي هذا المبحث عرّج الباحث على أشهر ما قيل في هذه المسألة ، وموقف العلماء ورؤيتهم لمصطلح الأضداد .

4-المبحث الرّابع . أمثلةٌ ونماذج لأسماء الأضداد في المجتمع الليبي .

أمّا في هذا المبحث فقد اكتفى الباحث بسرد أشهر الأضداد التي يستعملها العامة ومقارنتها بالفصحى .

وفي خاتمة الدراسة توصّل الباحثُ إلى مجموعةٍ من النتائج كان من أبرزها :

1-الأضداد مصطلح أطلقه اللّغويّون على الألفاظ التي يكون الواحد منها دالا على معنى وعلى ضدّه المنافي له في الدلالة.

2-تباينت آراء العلماء حول مفهوم الأضداد فهناك من يُنكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده .

4–تناول القرآن الكريم ظاهرة الأضداد في الكثير من آياته .

5– دراسة الباحث لظاهرة الأضداد كان بمعنى الشيء وضده فقط .

Abstract:

Opposites are one of the features of the Arabic language in which they are found, so the researcher chose to be the subject of his research related to this feature and labeled it with (wrong and right in the names of opposites).The study is concerned with selecting some of the words and structures used in the Libyan colloquial language and comparing them with what is found in classical Arabic ,The researcher chose a group of opposites names by explaining their meanings and showing their connotations through dictionaries and books of the ancient language.

It should be noted that this study revolves around the concept of opposites in the sense of opposite, not as was common in language books and dictionaries that dealt with the concept of opposites in the sense of opposite and like.

Through the opinions and information that will be presented in this study, the researcher does not claim to be the first to approach this title or the last to delve into it, but it is an effort that is added to all the previous efforts and the past and subsequent writings, God willing.

The nature of this study, after this brief introduction, necessitated that it be divided into a group of subjects, which are: - The first topic - the meaning of opposites in the language, - The second topic - the significance of opposites in the Holy Qur'an, the third topic - the opinions of the first scholars regarding opposites, the fourth topic - names Opposites in Libyan society.

Then, after addressing the previous titles with explanation and detail, the conclusion will be in which the most prominent results that the researcher came out with through the pages of this research are written down and recorded.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى، على جزيل عطائه وكريم إحسانه وسوابغ نعمائه الحمد لله الذي خلق من العدم ، وعَلَّم بالقلم ، علَّم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على جميع أنبيائه ورسله وأوليائه ، وأخصُّ أبا القاسم محمداً . صلى الله عليه وآله وسلم . وآلَهُ الطيّبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فلغةُ العربِ شرّفها الله تعالى وأكرم منزلتها بأن تكون لغة القرآن الكريم وقد تميّزت بخصائصَ لا مجال في هذه الوريقات لحصرها منها على سبيل الذّكر لا الحصر : الحقيقية ، والمجاز، والتكرير، والإيجاز، والكناية، والإضمار، والحذف والاختصار، والحكاية ، والاتساع ، والإغراء والتحذير ، والتصغير، والتعظيم والضّد والمثيل ، ومخاطبة الواحد بلفظ الاثنين، ومخاطبة الاثنين بلفظ الواحد ومخاطبة الغائب بلفظ الشاهد والشاهد بلفظ الغائب ؛ وكل ذلك لاتساعها وفصاحتها، وتفهّم العلماء لظاهر معانيها وكناياتها .

وقد وقع اختيار الباحث على خصيصةٍ من هذه الخصائص المتعدّدة التي تتميّز بها لغة العرب وإن وُجدت في غيرها من اللغات وهي ظاهرة الضد أو المقابل .

لِذا رصد الباحثُ عنواناً لهذه الدراسة بعد الرّجوع لبعض المصادر التي تحدّثت حوله ودوّن بعضاً ممّا قيل بشأنه وقد وسّمه **بـ(أسماء الأضداد في الفصحى والعاميّة الليبيّة)** ، واتّبع فيه المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة جوانب البحث النّظريّة والتطبيقيّة .

وسيعتمد الباحث في دراسته هذه على حصر مجموعة من أسماء الأضداد الموجودة في البيئة العاميّة الليبية ومقارنتها دلاليا مع الفصحى وتوضيح وإبراز آراء علماء اللغة الذين تحدّثوا حول هذه المصطلحات وتدوين أهم ما قالوا بهذا الخصوص مع الملاحظ أنّ هذه الدراسة تتمحور حول مفهوم الأضداد بمعنى المقابل وليس كما شاع في كتب اللغة ومعاجمها التي تناولت مفهوم الأضداد بمعنى الضد والمثْل .

ومن خلال ما سيُقدّم في هذه الدراسة من آراء ومعلومات فالباحثُ لا يدّعي أنّه أوّل من طرق هذا العنوان أو آخِر من يخوض فيه ، ولكنّه جهد يُضاف إلى كلّ الجهود السّابقة والكتابات الماضية واللاحقة إن شاء الله تعالى .

الهدف من البحث :

1-زيادة الوعي بأهميّة المفردات اللغويّة ومكانتها ودلالتها ، وإبراز معانيها ودورها في بناء اللغة والمحافظة عليها ممّا قد يشوبها من لحن أو ما يُفسدها من دخيل.

2- إيضاح البعض من إشكاليّة أسماء الأضداد من حيث المفهوم .

3- المقارنة بين أسماء الأضداد في الفصحى والعامية وهل توافقت في دلالاتها .

4- إبراز وإيضاح الأسباب التي جعلت من العرب يتجهون إلى استخدام هذا النوع من الأساليب والتراكيب اللغوية في بيئتهم .

أسباب اختيار هذا العنوان :

1-تقديم شيءٍ إلى القارئ أو المتلقّي قد يُفيده ومن ثم يُفيد اللغة .

2- التّعمّق أكثر في هذا النوع من الألفاظ والتراكيب اللغويّة ، ومعرفة كُنهه وأسراره .

3-الوقوف على مقاييس وضوابط استخدام هذا النوع من التراكيب .

ولقد اقتضت طبيعة هذا الدراسة بعد هذه المُقدّمة الوجيزة أن تُقسّم على مجموعةٍ من المباحث وهي :

1- المبحث الأوّل . دلالة الأضداد في اللغة .

2-المبحث الثّاني . الأضداد في القرآن الكريم .

3-المبحث الثالث – مصطلح الأضداد عند العلماء الأوائل .

4-المبحث الرّابع . أمثلةٌ ونماذج لأسماء الأضداد في المجتمع الليبي .

ثمّ بعد التّطرّق إلى العناوين السّابقة بشيءٍ من التفصيل والتّوضيح المصحوب بالأدلّة والبراهين تأتي بعد هذا كلّه الخاتمة وفيها يتمُّ تدوين أبرز النتائج التي خرج بها الباحثُ من خلال صفحات هذا البحث وتدوينها .

ثم سيذُيّلُ البحث بقائمة المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث في دراسته .

1-دلالة الأضداد في اللغة .

الضِّدّ كما فسّره بعضُ أهل اللغة يقع على معنيين متضادَّين أو متقابلين ، ومجراه مَجْرَى النّدّ ؛ كما يقال مثلاً : فلان ضِدِّي ؛ أَي خِلافي ، وهو ضِدِّي، أَي مثلي[1].

أمّا ابنُ الأنباري فيري عكس ذلك إذ يقول : " وهذا عندي قولٌ شاذّ لا يُعوَّل عليه؛ لأنَّ المعروف من كلام العرب : العقلُ ضدّ الحمق ، والإيمان ضدّ الكفر، والَّذي ادَّعى من موافقة الضِّدّ للمثْل لم يُقِمْ عَليه دليلاً تصحُّ به حجَّته" [2] .

ويبدو أنّ ابن الأنباري لم يذهب إلى ما ذهب إليه غيره من الذين يرون أنّ الضدّ يأتي بمعنى المثل والمقابل .

وهذا مذهب الخليل بن أحمد كذلك إذ بيّن أنّ الضد : هو كل شيء ضاد شيئا ليغلبه فالسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، تقول : هذا ضده وضديده والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك ويجمع على الأضداد [3] .

وقد وافق الهمذانيُّ الخليلَ بن أحمد وابنَ الأنباري فيما ذهبا إليه إذ يرى هو الآخر أنّ أصل الضد في كلام القوم هو المخالفة، فكما يُقال: فلان يُضادّ فلانًا، أي : يخالفه في صنيعه فيفسد عليه ما أمَّله [4] .

ويرى حاجي خليفة أنّ الضد في اللغة: على معنيين متضادين، والمراد الألفاظ التي وقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها يؤدي معنيين مختلفين، بحسب السياق كقولهم للأسود: كافور [5] .

وهذا الرّاي يؤكّده أحمد مختار عمر الذي أوضح أنّ مصطلح (الضّد) قد ورد في المعاجم بمعنى المخالف والمنافي [6].

وجاء في الوسيط أيضاً أنّ الضدّ تعني : المخالف والمنافي والمثل والنظير والكفء وتجمع على أضداد ويقال هذا اللفظ من الأضداد من المفردات الدالة على معنيين متباينين كالجون للأسود والأبيض[7] .

وذكر الأزهري في التهذيب نقلاً عن الليث أنّ الضِّدُّ هو كل شَيْء ضَادَّ شَيْئا ليغْلِبَه فالسَّوادُ ضدُّ الْبيَاض ، والموتُ ضدُّ الْحَيَاة ، والليلُ ضدُّ النَّهَار، إِذا جَاءَ هَذَا ذهب ذَاك، ويُجمع على الأضْداد [8].

ويقودنا هذا البحث للحديث عن ظاهرة ليست ببعيدة عمّا نحن بصدده في هذه الدراسة ألا وهي ظاهرة التضاد بمعناها المتعارف عليه بين علماء اللغة ، فقد ذكر جون ليونز أنّه في الواقع يوجد أنواع عديدة للتضاد في المعنى يمكن التمييز بينها كأعزب : متزوج ، وحسن : سيئ ، وفوق:

تحت ، ومصطلح "التضاد" يمكن أن يأخذ تفسيرا أوسع أو أضيق، وبعض المؤلفين يوسعون هذا المصطلح ليغطي كل أنواع عدم التكافؤ في المعنى [9] .

ويمكن القول بأنّ مصطلحي التضاد والأضداد قريبان من بعضهما من حيث الدلالة إلا أنّ التضاد عند بعض أهل اللغة هو المقابل ، بينما الأضداد عند معظمهم وليس جميعهم قد تعني المقابل والمثل ، أمّا هذه الدراسة التي بين أيدينا وإن تناولت دلالة هذه المصطلحات عامةً وفي جوانبَ مختلفةٍ إلا أنّها سلّطت الضوء على دلالة أسماء الأضداد في البيئة العامية الليبية ومقارنتها بما استعمله الأولون من أهل اللغة وسبب استخدامهم لمثل هذه المصطلحات بينهم .

1- المبحث الثّاني . الأضداد في القرآن الكريم .

تناول القرآن الكريم مصطلح الأضداد في مواضعَ شتّى وتطرّق العلماءُ والمفسّرون بالحديث والشّرح إلى ما ذكره القرآن الكريم بهذا الخصوص وسيُفرد الباحث في الأسطر التالية البعض ممّا ذُكر في هذا الباب من آراء و من ذلك مثلاً ما أورده ابنُ الأنباري في قول الله تبارك و تعالى : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[10] ، حيثُ ذكر أنّ القُرْء يُعدُّ من الأَضداد. يقال: القُرْءُ للطهر وهو مذهب أَهل الحجاز، والقُرْءُ للحيض، وهو مذهب أَهل العراق، ويُجمع على أَقراء وقروء [11] .

وذهب ابنُ عاشور مذهب ابن الأنباري في التأكيد على ظاهرة الأضداد في القرآن الكريم وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ **إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾[12] حيثُ ذكر أنّ الْغَابِرُ يُطْلَقُ عَلَى الْمُنْقَضِي، وَيُطْلَقُ عَلَى الآتي كذلك ، فَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَضْدَادِ وَأَشْهَرُ دلالاته هُوَ الْمُنْقَضِي، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: غَبَرَ بِمَعْنَى هَلَكَ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا : أَيْ كَانَتْ مِنَ الْهَالِكِينَ، أَيْ هَلَكَتْ مَعَ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَهْلِ (سَدُومَ)[13] .

وفي قول الله تبارك وتعالى : ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**﴾[14] ذكر أبو جعفر النحّاس أنّ هذه الآية في معناه قولان : أحدهما أنّ معنى أسروا أظهروا وأنه من الأضداد [15] .

وفي قوله تعالى : ﴿**عَلَيْهِمْ ضِدًّا**﴾[16] ، ذكر الهمذاني في هذا الموضع أنّ الضّدّ يكون واحدًا وجمعه أضداد، وكذلك يكون واحدًا في معنى الجمع وهو المراد هنا والمراد ضد العز وهو الذل ، أي : يكونون عليهم ضدًا لما قصدوه وأرادوه ، أمّا أصل الضد في كلام القوم فهو المخالفة ، يقال: فلان يُضادّ فلانًا أي: يخالفه في صنيعه فيفسد عليه ما أمَّله [17] .

كما وردت الأضداد في موضعٍ آخرَ من ذلك قوله تعالى : ﴿**السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾[18] ، بضم الهمزة وفيه وجهان أحدهما : أسترها أي : من نفسي ؛ لأنّه لم يطلع عليها مخلوقاً ، والثاني أظهرها وقيل هو من الأضداد ، وقيل الهمزة للسلب أي : أُزيلَ إخفاؤها ، ويقرأ بفتح الهمزة ومعناه : أظهرها يقال : خفيت الشيء أي أظهرته[19] .

ومن الأضداد الواردة في القرآن الكريم كذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾[20] ، والمسجور تُطلق على المملوء ماءً وقيل الفارغ من الماء ، ونُقل عن أبي زيد قوله : المسجور هو المملوء ، والمسجور تعني كذلك الذي ليس فيه شيء وبذلك جُعل من الأضداد [21] .

وذهب أغلب المفسّرين إلى التأكيد على هذه الظاهرة وهي ظاهرة الأضداد واستشهدوا بقول الله تبارك وتعالى:﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** ﴾[22] ، إذ بيّن الأصفهاني أنّ قوله:**(عسعس)** بمعنى أقبل وأدبر فهو من الأضداد . وذلك في مبدإ الليل ومنتهاه، فالعسعسة والعساس هي رقّة الظلام ، في طرفي الليل، والعس والعسس: نفض الليل عن أهل الريبة [23] ، ولم يكن رأي النيسابوري بعيداً عن سابقه إذ يرى هو الآخر أنّ عسعس تعني : أظلم وأدبر، وهذا اللفظ يُعدُّ من الأضداد[24] .

3-المبحث الثالث –مصطلح الأضداد عند العلماء الأوائل .

تناول علماء اللغة الأوائل ظاهرة الأضداد وخصّصوا لها حيّزاً في العديد من مصنّفاتهم ، التي تحدّثت حول هذه الظاهرة وسيكتفي الباحث في هذه الصفحات للاستشهاد بأهم تلك الآراء .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره القيسي في الإيضاح من أنّ قولنا : **(**شريت**)** يُعدّ من الأضداد يقال: شريت الشيء شراء: بمعنيين : قد تعني بعته أو اشتريته[25] .

وفي بيت زهير بن أبي سلمى من الطويل :

إنَّ الخِلِيطَ أَجَدَّ البَيْن فانْفَرَقا * وَعَلَّقَ القَلْبُ مِنْ أسماءَ ما عَلِقا**[26]

وضّح الأنباري أنّ قوله :**(**البين**)** في البيت لها مدلولان ، يكون بمعنى الفراق ويكون بمعنى الوصال لأنّها من الأضداد [27].

ومن حديثه حول الأضداد كذلك ذكر النحّاس **أنّ** من آلات الكتاب, معرفة الأضداد, لأنّهم يحتاجون إلى ذلك في الكتب والرسائل والخطب ؛ لأنّ ذلك يقع في كتبهم كثيراً , فيشكل عليهم ؛ لأنّ أصله من جوهر اللغات الفصاح ومثّل له ببعض الألفاظ منها : الأمانة والخيانة , والجور والعدل, والثواب والعقاب والصغر والكبر, والشباب والهرم , والغنى والفقر, والفرح والترح ، والضحك والبكاء ، والنشاط والكسل [28] .

كما تعرّض القالي لمصطلح الأضداد من ذلك قوله : " جونها: أسودها، والجون: من الأضداد، يكون الأسود ويكون الأبيض " [29].

أمّا ابنُ فارس فلم يفته الحديث في هذه المسألة مثله مثل غيره من أهل اللغة حيث أشار إلى مجموعة من الألفاظ تُفيد الأضداد منها على سبيل الذّكر لا الحصر قوله في هذا الباب :" أمّا السَّليم وهو اللّديغ ففي تسميته قولان : أحدهما أنَّه أُسلم لما به. والقول الآخر أنّهم تفاءلوا بالسَّلامة . وقد يسمُّون الشيءَ بأسماء في التفاؤُل والتطيُّر. والسُّلَّم معروف ، وهو من السلامة أيضاً؛ لأنَّ النازل عليه يُرْجَى له السَّلامة "[30] .

كما بيّن ابنُ فارس أنّ (الرَّهوة) تُطلق على المرتفِعَ من الأرض، وتكون كذلك المنخفضَ ، فهي حرفٌ من الأضداد[31] .

وذكر ابن جني في خصائصه كذلك أنّ السليم تُطلق على اللديغ وذلك تفاؤلا بسلامته[32] وهذا ما ذهب إليه الجوهري بقوله : والسلام والسليم : اللديغ ، كأنّهم تفاءلوا له بالسلامة [33] .

وأوضح الفزاري في هذا الباب أنّ الأعور يُطلقون عليه ذلك إمّا ؛ لأنّه يغمض إحدى عينيه وذلك لقوّة بصره ، وإمّا ؛ لصفاء عينيه وحدّة بصره وهذا كلّه من باب الأضداد [34] .

واستشهد العيني بقول الشّاعر من الخفيف :

حيثُما تستقمْ يقدِّرْ لكَ الله * نجاحًا في غابرِ الأزْمانِ**[35] .

وبيّن أن قوله : "في غابر الأزمان" أي: في باقي الأزمان ؛ وغبر إذا مضى –أَيضًا–، وهو من الأضداد، ومادته : غين معجمة وباء موحدة وراء[36] .

4–المبحث الرّابع . أمثلةٌ ونماذج لأسماء الأضداد في المجتمع الليبي .

يتداول السكان في ليبيا فيما بينهم الكثير من المصطلحات المعروفة بأسماء الأضداد ، إذ تُطلق الأضداد على الكثير من المسمّيات في البيئة المحلّية الليبية أيّاً كان نوعها أعلاماً أو أشياء متداولة بين السكّان .

وفي هذا المبحث عرّج الباحث على البعض من هذه المسميات أو المصطلحات التي تدلّ على الأضداد واكتفى بالمشهور منها أو الأكثر انتشاراً بين الناس ومن خلال هذا السّرد المبسّط لهذه الأسماء اختار الباحث أن يتّبع الترتيب الهجائي لأحرف المعجم عند الحديث حول كل مصطلح من هذه المصطلحات .

1-البصير : هو أحد أسماء الأضداد ويطلقه العامةُ على الإنسان الذي حُرم من نعمة البصر ، وهو مقابل الأعمى ، والَبَصيرٌ في معاجم اللغة هو الذي له دراية بالأشياء والعالِمٌ بِها ، ورجُلٌ بَصِيرٌ بالعِلْمِ كذلك [37] .

وقوله . صلى الله عليه وسلم . اذهب بنا إلى فلانٍ البَصِيرِ وكان أعْمَى قال أبو عُبيدٍ يريدُ به المُؤْمِنَ وعندي أنه . صلّى الله عليه وسلم . إنَّما ذَهَب إلى التَّفاؤُلِ ؛ لأنّ لَفْظَ البَصَرِ أحسنُ من لَفْظِ العَمَى [38] .

والبصير من أسماء الله سبحانه وتعالى ، قال جلّ شأنه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [39]، والأعمى وأبو بصير كنية أعشى قيس ، أمّا البصيرة فهي قوة الإدراك وكذلك الفطنة والعلم والخبرة ويقال فراسة ذات بصيرة صادقة[40].

قال أميّة بن أبي الصلت من الطويل :

لَهُ مَا رَأَتْ عَيْنُ البَصِيرِ وَفَوْقَهُ ***سَمَاءُ الإلهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِيَا[41]

وقد ذكر إقبال الشّرقاوي أنّ طائفةٌ من كلم الأضداد قد نشأت عن بواعثَ نفسية كالتشاؤم أو التفاؤل أو قد يكون الأمر توقعاً كتسميتهم اللّديغ بالسليم تفاؤلا له بالسلامة ، ومن أمثلة ذلك أيضاً تسميتهم المهلكة مفازة ، ونعتهم الفرس الحسنة الخَلق بالشوهاء توقّيا من إصابتها بالعين ، أمّا الباعث الاجتماعي كقولهم في الأعمى البصير تأدّبا معه وتلطّفا به [42] .

وأوضح شوقي ضيف أنّ رجلاً من الأنبار يُدعى أبو علي البصير وكان ضريرا

ولقّب البصير على العادة في التفاؤل أو لذكائه وفطنته [43] .

1-الأبيض : كلّ شيءٍ اتّصف بالبياض وتطلق على الفضة والسيف والوجه الأبيض النّقي اللون من الكلف والسواد الشائن ، وفلان أبيض نقي العرض وموت أبيض أتى فجأة لم يسبقه مرض يغيّر اللون (ج) بيض [44] .

أنشد حسّان بن ثابت الأنصاري من الكامل :

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم * شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ**

وقال آخرُ من البسيط :

كأنّهُمْ أسْيُفٌ بِيضٌ يمانِيَةٌ * صَافٍ مضاربُها باقٍ بها الأَثَرُ**[45]

أمّا الأبيضان فهما الماء واللبن ولفظٌ يُطلق كذلك على الماء والخبز ، والشحم والشباب ويقال ما رأيته مذ أبيضان أي : مذ يومان أو شهران [46] .

والأَبْيَضُ : ضِدُّ الأَسْوَدِ ، من البَيَاض ، وعادةً ما يَكُونُ في الحَيَوَانِ والنَّبَاتِ وغيْرِ ذلِكَ مِمَّا يَقْبَلُهُ غيْرُه[47] . وممّا أنشده الشنفرى الأزدي قوله :

إذا ما أَزُومُ الودَّ بيني وبينها * يؤمُّ بياضُ الوجه منّي يمينَها** [48]

وقد علّق يوسف خليف على بيت الشنفرى ووصف وجهه بالبياض بقوله : " يبدو لي أنّ وصف الشنفرى لوجهه بالبياض إما أن يكون على طريقة العرب في التعبير عن اللديغ بالسليم ، وإمّا أن يكون لونا من السخرية من اهتمام هؤلاء السادة بمسألة اللون " [49] .

وهذا ما ذهب إليه أحمد إقبال بقوله : "هم كنّوا الحبشي بأبي البيضاء تحسينا لسواده ، وربّما كنّوه بذلك تهزّؤا به " [50] .

ومن استعمال العامة لمصطلح البياض الذي يقابل السّواد نجدهم قد أطلقوه على مادة الفحم الذي يُستعمل في إيقاد النار والذي يتميّز بسواده الدّاكن إلا أنّ العامة يُسمّونه البياض ، كما أنّهم يُطلقون اسم الأبيض على كثيرٍ من الأعلام أصحاب البشرة السّوداء والأمر كما ذُكر متعلّق بمسألة التطيّر والتفاؤل إلى غير ذلك ممّا عُرف عند العرب منذ القِدم .

3-الأسود : " السَّوَادُ نَقِيضُ البَيَاض ، سَوِدَ وسادَ واسْوَدَّ واسْوادَّ وهو أَسْود والجمع سُودٌ وسُودانٌ وسَوَّدَه جَعَلَه أَسْوَد وأَسْودَ الرَّجُلُ وأَسَاد وُلِد له ولد أَسْود وساوَدَه سَواداً لَقِيَه في سَوادِ الليل ، وسَوادُ القَوْم مُعْظَمُهم " [51] .

ويقال : سَوِدَ يَسْوَدُ وهو أَسْوَدُ وهي سَوْدَاءُ والجمع سُودٌ ، ويصغر على أُسَيْدٍ على القياس وعلى سُوَيْدٍ أيضا على غير قياس ويسمّى تصغير الترخيم وبه سُمّي ومنه سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ [52] ، والحجر الأسود معروف ويُقال أيضاً المسْوَد قال الشّاعر : **وَبِالْحَجَرِ الْمُسْوَدّ إِذْ يَمْسَحُونَهُ *** إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضّحَى وَالأَصَائِلِ** [53].

وقد تشاءمت العرب من الغراب ، وبالغوا في ذلك حتى أنّهم أضافوه إلى البين فقالوا: غراب البين ؛ لأنَّ من شأنه أن ينزل الدُّور التي بان عنها أهلها ، ومن شأنه أكل الجِيَف والقمامات ، وهو من لئام الطير[54].

وقد أنشد النّابغة من الكامل :

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَدًا * وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُرابُ الأَسوَدُ** [55] .

والبوارح عند العرب من الظباء والطير وغيرها التي تأتي من يمين الرجل إلى مياسره ، وأهل نجد يتشاءمون بها ، بينما تجد أهل الحجاز عكس ذلك إذ نجدهم يتيمّنون بالبوارح [56].

ورغم ما يحمله اللون الأسود من نفور واشمئزاز بين النّاس إلا أنّ العرب كانت الكثير من أسمائهم وكناهم وألقابهم تنتشر فيما بينهم من ذلك أبو الأسود الدؤلي والأسود بن يعفر ، والأسود العفاري وغيرهم وقد نهج الخلف نهج السّلف في إطلاق هذه التسميات والكنى وكلّ ذلك إمّا لإبعاد العين ، أو التفاؤل أو ما شابه ذلك ممّا كان في معتقداتهم .

قال الشّاعر من الرّمل : **يا أَبَا الأَسْوَدِ لِمْ خَلَّيْتَنِي *** لهُمومٍ طارِقاتٍ وذِكَرْ**[57]

4-الشارف : " الشَّارِفُ مِن النُّوقِ هي الْمُسِنَّةُ الْهَرِمَةُ ، وقال ابنُ الأَعْرَابِي : هي النَّاقَةُ الهِمَّةُ ، وفي الأَسَاسِ : هي الْعَالِيَةُ السِّنِّ " [58] .

وهذا ما يراه الوسيط وهو أنّ لفظ الشّارف لفظٌ يُطلق عادة على المُسن من الدواب (ج) شوارف وشُرّف ، ويُطلق كذلك على الأشياء القديمة العتيقة[59] .

وأنشد الأعشى من المتقارب :

تَرَى الشَّيْخَ منها يُحِبُّ الإيابَ * يَرْجُفُ كالشارِفِ المُسْتَحِنّ** [60]

وقد شُبّه الشارفُ من الإبل بالشيخ من البشر[61] .

وجاء في جمع الجوامع : "لا تَأْخُذُوا مِنْ حَزَرَاتِ أَنْفُسِ النَّاسِ شَيئًا، خُذِ الشَّارِفَ وَالْبَكْرَ، وَذَواتِ الْعَيبِ"[62] .

ويرى الباحث أنّ مصطلح (الشّارف) عَلَمٌ يُطلق عند العامة في البادية الليبيّة على الابن الوحيد عند ولادته تيمناً بطول عمره ، وتفاؤلاً بسلامته .

5-الشيباني : شابَ يَشِيبُ شَيْبًا وشَيْبَةً فالرجل "أَشْيَبُ" على غير قياس وتُجمع على شِيبٍ بالكسر ، وشَيْبَانٌ مشتق من ذلك وبه سُمّي ولا يقال امرأةٌ شَيْبَاءُ وإنّما شاب رأسها ، أمّ المَشِيبُ فهو الدخول في حدّ الشَّيْبِ وقد يستعمل المشيب بمعنى الشَّيْبِ وهو ابيضاض الشعر المسود وقولهم : شَيَّبَ الحزنُ رأسه وبرأسه بالتشديد و"أَشَابَهُ" بالألف و"أَشَابَ" به "فَشَابَ" في المطاوع [63] .

ويرى الباحثُ أنّ لفظة الشيباني أصلها مأخوذ من (شيب) وتُطلق على الشخص الذي علاهُ الشيب وخالط البياضُ سوادَ شعره ، ومن المعروف أنّ شيبَ الرّأسِ عادةً ما يكون في سنٍّ متأخرة لذلك يُطلق على من امتدّ به العمراسم الشيباني. ولكن قد نجد هذا العَلم المنقول يُطلق اسماً على كثيرٍ من المواليد الجدد وسِر هذه التسمية كما يراه الباحث هو التيمّن والتفاؤل بالسلامة وطول العمر كما هو معروف بين الناس .

وما يمكن قوله في هذا السياق هو أنّ الأضداد تكثر لنفس السبب الذي كثرت من أجله المترادفات وهي في مجملها ليست من استعمال قبيلة واحدة ، وقد أفرد اللغويون لها بسبب كثرتها أبحاثا وكتبا واختلفت آراؤهم فيها حتّى وسّعوا مفهوم الضد، ليشمل ما يكون بين استعمالين من فروق ضئيلة في المعنى [64] .

الخاتمة والنتائج

1-الأضداد جمع ضد، وهو مصطلح أطلقه اللّغويّون على الألفاظ التي يكون الواحد منها دالا على معنى و ضدّه المنافي له في الدلالة.

2- مفهوم الأضداد عند بعض العلماء كان له معنيان : الشيء وضدّه ، والشيء ومثله .

3-تباينت آراء العلماء حول مفهوم الأضداد فهناك من يُنكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده .

4-تناول القرآن الكريم ظاهرة الأضداد وظهر ما يدلُّ عليه هذا المصطلح في آياتٍ قرآنيةٍ عديدة من المُصحف الشّريف .

5- دراسة الباحث لظاهرة الأضداد كانت بمعنى الشيء وضده فقط .

6- كل مصطلحات الأضداد التي يستعملها العامة هي عربية فصيحة ودلالتها في الفصحى هي نفس الدّلالة عند العامة .

7- تداولُ مصطلح الأضداد بين الناس قديماً أو حديثاً وانتشاره بينهم له أسبابه وتعود في مجملها إلى التيمّن وإبعاد العين والحسد ، أو التفاؤل بالسلامة وطول العمر كما هو معروف .

8- هذه الدراسة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة بحول الله إذ يدعو الباحث من خلالها إلى قيام دراسات أخرى تتمحور حول هذا الموضوع لاستيفاء النقص الذي لا تخلو منه هذه الدراسة واستكمال ما لم يتطرّق له الباحثُ من نتائج .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص .

1-يُنظر الأضداد لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت 328هـ) تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان : 1407 هـ - 1987 م : 27 .

2- المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .

3- يُنظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت 175هـ) ، تح : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بلا تأريخ نشر ، بلا رقم طبعة : 7 / 6 .

4- يُنظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المنتجب الهمذاني (ت643 هـ) حقّق نصوصه وخرّجه وعلق عليه : محمد نظام الدين الفتيح ، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م : 4 / 390 .

5- يُنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت 1067هـ) مكتبة المثنى - بغداد ، 1941م ، بلا رقم طبعة : 1 / 81 .

6- يُنظر معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي لأحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1 ، 1429 هـ - 2008 م : 1 / 149 .

7- يُنظر المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، دار الدعوة ، تح : مجمع اللغة العربية ، بلا رقم طبعة ، بلا تأريخ نشر : 1 / 536 .

8- يُنظر تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 ، 2001م : 11 / 313 .

9-يُنظر اللغة وعلم اللغة لجون ليونز ، دار النهضة العربية ، ط1 ، ترجمة مصطفى زكي حسن التوني ، القاهرة ، 1987 : 212 .

10-سورة البقرة ، من الآية (228) .

11- يُنظر الأضداد للأنباري مرجع سابق : 27 .

12- سورة الأعراف ، من الآية (83).

13-يُنظر التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 هـ: 8/ 237 .

14-سورة يونس ، من الآية (54) .

15- يُنظر إعراب القرآن إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت 338 هـ) ، تح : د.زهير غازي زاهد ، عالم الكتب 1409هـ- 1988م بيروت ، بلا رقم طبعة : 3 / 350 .

16- سورة مريم ، من الآية (82) .

17- يُنظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني ، مرجع سابق : 4 / 390 .

18- سورة طه ، من الآية (15) .

19-يُنظر إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، (ت 616هـ) تح : إبراهيم عطوه عوض المكتبة العلمية- لاهور ، باكستان ، بلا تاريخ نشر بلا رقم طبعة : 120 .

20- سورة الطور ، الآية (6).

21- التبيان في أقسام القرآن ، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي ، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان ، بلا رقم طبعة ، بلا تأريخ نشر : 2 / 269 .

22- سورة التكوير . الآية (17) .

23-يُنظر مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم ، دمشق . سوريا ، بلا رقم طبعةٍ ، بلا تأريخ نشر : 2 / 94 .

24- يُنظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، لبيان الحق محمود بن أبى الحسن النيسابوري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1417هـ ـ 1997م : 2 / 1637 .

25- يُنظر إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي (6هـ) دراسة وتحقيق : محمد بن حمود الدعجاني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1408 هـ - 1987 م ، ط1 : 1 / 158 .

26- يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1417هـ - 1996م : 5 / 123 .

27- يُنظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت 328هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف سلسلة ذخائر العرب (35) ، ط5 ، بلا تأريخ نشر : 433 .

28- يُنظر عمدة الكتاب لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ) تح : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ط1 ، 1425 هـ - 2004 م1 : / 149 .

29- الأمالي لأبي علي ، إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي (ت356 هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي دار الكتب المصرية 1344 هـ - 1926م ، ط2 : 1 / 9 .

30- يُنظر مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت – لبنان ، 1990 م ، بلا رقم طبعة : 3 / 91 .

31- يُنظر المصدر السّابق : 2 / 447 .

32-الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني ، (ت 392هـ) ، تح : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا رقم طبعةٍ ، بلا تأريخ نشر : 2 / 134 .

33-يُنظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ)، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط4 1407 هـ - 1987 م : 5 / 1952 .

34- يُنظر صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت 821هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، بلا رقم طبعة بلا تأريخ نشر : 2 / 91 .

35- يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب ، مرجع سابق :8 / 188 .

36-يُنظر المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ(شرح الشواهد الكبرى) لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت855 هـ) تح : علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية ط 1 ،1431 هـ - 2010 م : 4 / 1915 .

37- يُنظر المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، (ت 458هـ) ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ،2000م ، بلا رقم طبعة : 8 / 316 .

38-يُنظر المصدر السّابق ، الصفحة ذاتها .

39-سورة الشورى ، من الآية (11) .

40- يُنظر المعجم الوسيط مرجع سابق : 1 / 59 .

41- يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب مرجع سابق : 8 / 315 .

42- يُنظر معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي إقبال (معاصر) ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط1، 1993 م : 294 .

43- يُنظر تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ط1 1960م - 1995 م : 4 / 415 416 .

44- يُنظر المعجم الوسيط مرجع سابق : 1 / 79 .

45-يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب مرجع سابق : 3 / 226 ، 6 / 565 .

46-يُنظر المعجم الوسيط مرجع سابق : 1 / 79 .

47- يُنظر تاج العروس للزّبيدي مرجع سابق : 18 / 250 .

48- يُنظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت ، تح : سمير جابر ، بلا رقم طبعة ، بلا تأريخ نشر : 10 / 197 .

49-يُنظر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ليوسف خليف ، دار المعارف ، ط4 ، بلا تأريخ نشر : 333 .

50- معجم المعاجم لأحمد إقبال ، مرجع سابق : 294 .

51- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي مرجع سابق : 8 / 599 .

52- يُنظر المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بلا رقم طبعةٍ ، بلا تأريخ نشر : 153 .

53- يُنظر الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ) ، تح : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط1 ، 1421هـ/ 2000م : 3 / 27 .

54- يُنظر شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093 هـ) تح : عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث، بيروت ، ط2 1414 هـ : 4 / 94 .

55- يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب مرجع سابق : 2 / 284 .

56- يُنظر شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي مرجع سابق : 4 / 93 .

57- يُنظر تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية بلا رقم طبعةٍ ، بلا تأريخ نشر : 23 / 498 .

58- يُنظر المعجم الوسيط مرجع سابق : 1 / 479 .

59-يُنظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع يعقوب ، مرجع سابق : 8 / 7 .

60- يُنظر المرشد إلى فهم أشعار العرب ، لعبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت 1426هـ) ، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت ، ط2 ، 1409 هـ - 1989 م : 1 / 395 .

62- جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي(ت 911 هـ) ، تح : مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر ، دار الأزهر الشريف القاهرة – جمهورية مصر العربية ط2 ، 1426 هـ - 2005 م 10 / 783 .

63- يُنظر المصباح المنير لأحمد الفيومي مرجع سابق : 171 .

64- يُنظر تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف مرجع سابق : 129 .